المشحانية في الفكر الديني اليهودي وأثرها في تشكيل الهوية الصهيونية وعلاقتها بإقامة دولة إسرائيل المزعومة

The Mishaniya in Jewish Religious Thought,
Its Impact on the Formation of Zionist Identity, and
Its Relationship to the Establishment of the State of Israel

إعداد

د. علي أحمد شكر القيسي

عبد العزيز شعلان معروف الجنابي

Prepared by

Dr. Ali Ahmed Shukr Al - Qaisi Abdulaziz

Shaalan Marouf Al - Janabi

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 3 | العدد 42
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.3 | Issue 42
ISSN: 2225-9732
March 2026

ملخص البحث

يتناول هذا البحث مفهوم المشحانية في الفكر الديني اليهودي من حيث جذوره العقدية وتطوراته الفكرية، مسلطًا الضوء على دوره في تشكيل الهوية الصهيونية وعلاقته بإقامة دولة إسرائيل المزعومة. ينطلق البحث من استقراء النصوص التوراتية والنبوية، ولا سيما في كتب الأنبياء إشعياء ودانيال وحزقيال، للكشف عن النبوءات المتعلقة بالمسيّا المنتظر، ثم يتناول التفسيرات الواردة في التلمود والمدراش التي أسهمت في ترسيخ الفكرة المشيحانية في الوعي الديني اليهودي. كما يبرز البحث كيف تحوّلت هذه العقيدة من مفهوم ديني خلاصِي إلى مشروع سياسي يُستثمر في بناء الهوية الصهيونية وتبرير الاحتلال وإقامة الدولة اليهودية على أسس دينية مؤدلجة. ويبيّن أن التداخل بين العقيدة المشيحانية والمشروع الصهيوني أدى إلى ظهور تناقضات داخل المجتمع الإسرائيلي بين التيارات الدينية والعلمانية، انعكست على بنية الدولة وقوانينها وخطابها السياسي. ويخلص البحث إلى أن المشيحانية شكّلت الركيزة الفكرية والروحية التي غذّت الطموحات الصهيونية، وأسهمت في إضفاء الشرعية الدينية على أهدافها السياسية. كما يوصي بضرورة توسيع الدراسات النقدية المقارنة حول الفكر المشيحاني وتوظيفه السياسي، للكشف عن مخاطره الفكرية والثقافية في السياقين الديني والسياسي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: المشحانية – اليهودية.

Abstract:

This study examines the concept of Messianism in Jewish religious thought, examining its doctrinal roots and intellectual developments. It highlights its role in shaping Zionist identity and its relationship to the establishment of the alleged State of Israel. The study begins by examining biblical and prophetic texts, particularly the books of the prophets Isaiah, Daniel, and Ezekiel, to uncover prophecies related to the awaited Messiah. It then examines the interpretations contained in the Talmud and Midrash that contributed to the consolidation of the Messianic idea in Jewish religious consciousness. The study also highlights how this doctrine was transformed from a religious, salvific concept into a political project invested in constructing Zionist identity, justifying the occupation, and establishing the Jewish state on ideologically based religious foundations. It demonstrates that the overlap between Messianic doctrine and the Zionist project led to the emergence of contradictions within Israeli society between religious and secular movements, which were reflected in the state's structure, laws, and political discourse. The study concludes that Messianism constituted the intellectual and spiritual foundation that fueled Zionist ambitions and contributed to conferring religious legitimacy on its political objectives. It also recommends expanding critical comparative studies on Messianic thought and its political application, to uncover its intellectual and cultural dangers in contemporary religious and political contexts.

Keywords: Messianism - Judaism.

مقدمة

كتب عن الأنبياء في العهد القديم مجموعة من النبوءات التي يعتقد المسيحيون أنها تشير إلى مجيء المسيح، تتنوع هذه النبوءات في طبيعتها، وتشمل أوصافًا لشخصية المسيح، وميلاده، وحياته، وموته، وقيامته، وملكوته، ويُعدّ سفر إشعياء من أكثر الأسفار النبوية ثراءً بالنبوءات المتعلقة بالمسيح المنتظر، حيث يتضمّن إشارات واضحة إلى شخصه وميلاده ودوره الخلاصي، ومن أبرز تلك النبوءات ما ورد: «لِذلِكَ يُعْطِيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُهُ آيَةً: [1] هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ»، وهي نبوءة تُعدّ محورًا أساسيًا في الربط بين الميلاد العذراوي [2] للمسيح وتحقّق العهد الداودي، فقد شكّل هذا الميلاد العلامة التي قدمها الله تأكيدًا على صدق وعده [3]، وتجسيدًا لحضوره بين شعبه [4]. في هذا السياق، يُلاحظ أن كلا من إنجيلي متى ولوقا يربطان بوضوح بين الميلاد العذراوي وتحقيق الوعد الإلهي لبيت داود، حيث يُشار في (متى) إلى استخدام مصطلح «العذراء» اقتباسًا مباشرًا من نبوءة إشعياء، بما يدلّ على أن الميلاد العذراوي ليس مجرد حدث تاريخي بل هو خطوة جوهرية في تتميم مقاصد الله الخلاصية [5].

لقد كانت المشيحانية، أو الإيمان بالمسيح المنتظر، عاملاً حيويًا في توحيد اليهود في أوقات الشدة والاضطهاد. إذ كانت فكرة المسيح بالنسبة لهم بمثابة منارة أمل وأداة للتعبير عن الرجاء بالخلاص، مما ساعد على تعزيز الشعور بالانتماء المشترك والمصير الواحد، في ظل الظروف القاسية التي واجهوها، مثل الشتات والتعرض للاضطهاد، كان انتظار مجيء المسيح يعكس أملًا مشتركًا في تحقيق الخلاص وعودة الأرض المقدسة، وقد ساهم هذا الانتظار في تكوين

(١) إشعياء (٧: ١٤)

(٢) الميلاد العذراوي في المسيحية هو ولادة المسيح من مريم العذراء بقوة الروح القدس دون تدخل بشري، كمعجزة إلهية تؤكد ألوهيته.

(٣) متى ١: ٢٣؛ لوقا ١: ٣٢–٣٣

(٤) حبيب، صموئيل، وآخرون. دائرة المعارف الكتابية. الطبعة الأولى، مصر: دار الثقافة، ١٩٩١م. ص ٣٥.

(٥) خوشابا، شليمون إيشو، وزهريرا عمانوئيل بيتو يوخنا. قاموس عربي - سرياني. الطبعة الأولى، العراق: مطبعة هاوار، ٢٠٠٠م. ص ٦٢.

رابط جماعي قوي بين اليهود عبر الأجيال المختلفة، مما جعلهم يواصلون التمسك بهويتهم الدينية والثقافية في مواجهة التحديات الخارجية (١). من ناحية أخرى، لعبت المشيحانية دورًا محوريًا في الحفاظ على الهوية اليهودية داخل المجتمعات الشتاتية، فقد كانت عقيدة انتظار المسيح عاملًا دافعًا لليهود للحفاظ على تقاليدهم الدينية والثقافية، مما مكنهم من الصمود أمام محاولات الاندماج الكامل في المجتمعات المضيفة، فالإيمان بالمسيح المنتظر لم يكن مجرد فكرة دينية، بل كان يمثل قوة معنوية تضمن استمرارية العادات والممارسات اليهودية، وتمنع الذوبان في الثقافات الأخرى. وبالتالي، كان هذا الإيمان أداة فعالة في الحفاظ على تماسك المجتمع اليهودي واستمراريته عبر التاريخ (٢).

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحليل مفهوم المشحانية في الفكر الديني اليهودي من خلال استقراء النصوص التوراتية والنبوية والتلمودية التي تناولت فكرة المسيّا المنتظر، للكشف عن أبعادها العقائدية وتأثيرها في تشكيل الوعي الديني اليهودي، كما تسعى إلى توضيح الدور الثقافي والسياسي للمشحانية في بناء الهوية الصهيونية الحديثة، ويهدف البحث كذلك إلى إبراز العلاقة بين المعتقد الديني والتوجّه السياسي في الفكر اليهودي المعاصر، بوصفها نموذجًا لتداخل العقيدة بالسياسة في خدمة المشروع الصهيوني.

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من كونه يسعى إلى إيضاح أحد المفاهيم الجوهرية في الفكر الديني اليهودي التي كان لها أثر بالغ في صياغة العقيدة والسياسة معًا، وهو مفهوم المشحانية المرتبط بالمسيّا المنتظر، إذ يُسهم البحث في فهم الجذور الدينية للعقيدة المشحانية وكيفية توظيفها في الخطاب الصهيوني الحديث لتبرير مشروع إقامة دولة إسرائيل المزعومة، مما يُبرز الترابط بين الموروث الديني والأهداف السياسية في الفكر اليهودي، كما تبرز أهمية الدراسة في الكشف عن الدور الأيديولوجي للعقيدة الدينية في خدمة المصالح السياسية، وهو ما يجعل هذا البحث مساهمة علمية في فهم تفاعل الدين والسياسة في الفكر اليهودي المعاصر.

(1) Scholem, Gershom. Sabbatai Sevi: The Mystical Messiah, 1626–1676. Princeton University Press, 1973. P67.

(٢) الإمام، سامي. الفكر العقدي اليهودي. الطبعة الأولى، مصر: دار الشروق، ٢٠١٠. ص ٦١.

مصطلحات البحث:

أ - المشحانية

تشتق من كلمة المسيا من الكلمة العبرية «Mashiach» (المسيح) وهي تعني «الشخص الممسوح» أو الشخص المختار»، والمقابل اليوناني لها هو كلمة Christos، وفي الإنجليزية Christ، والاسم «يسوع المسيح» هو نفسه «يسوع المسيا»، وكان مسح الشخص بالزيت في زمن العهد القديم علامة على تخصيص الله ذلك الشخص أو تعيينه للقيام بدور معين، وبالتالي فإن «الشخص الممسوح» هو شخص له هدف خاص معين من قبل الله [١].

ب - الصهيونية

حركة سياسية ودينية يهودية ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، تسعى إلى جمع اليهود في كيان قومي واحد وإقامة دولة لهم في فلسطين، مستندة في فكرها إلى تأويلات دينية توراتية ونبوية تتعلق بالمسيّا المنتظر و»أرض الميعاد»، واتخذت من العقيدة المشحانية أساسًا أيديولوجيًّا لتبرير مشروعها الاستيطاني والسياسي [٢].

ج - تعريف التلمود

التلمود هو مجموعة ضخمة من الكتابات التي تشمل تفسيرات وتوضيحات للشريعة اليهودية (التوراة)، يتكون التلمود من جزئين رئيسيين: المشناه (النص القانوني) والجمارا (الشرح والتفسير)، يُعتبر التلمود مصدرًا أساسيًا للشريعة اليهودية الشفوية، التي تم تناقلها عبر الأجيال [٣].

الإطار النظري للبحث:

المطلب الأول: تعريف المشحانية في اللغة والاصطلاح

التعريف لغة: المسيا [٤] هي الصيغة العربية للكلمة اليونانية «مسياس»، المأخوذة من الكلمة الأرامية «مشيحا» משיחא (Mashiach) التي تعني مسيح، وهي كلمة عبرية معناها «ممسوح» أي

(١) المسيري، عبد الوهاب محمد: الآيديولوجيا الصهيونية، الكويت: عالم المعرفة، يناير ١٩٧٨، ص ٣٦.

(٢) عيد، يوسف. موسوعة الأديان السماوية والوضعية: اليهودية. الطبعة الأولى، لبنان: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٥. ص ٤٦.

(٣) ظاظا، حسن. الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه. الطبعة الرابعة، سوريا: دار القلم، ١٩٩٩. ص ٦٧.

(٤) يوحنا ١: ٤١؛ ٤: ٢٥

«مسيح» [١].

اللغة الإنجليزية: Messiah / Messias - اللغة العبرية: מָשִׁיחַ - اللغة اليونانية: μεσσίας - اللغة الأمهرية: - اللغة الأرامية: - اللغة اللاتينية: Messias. [٢]

التعريف اصطلاحًا: عند اليهود المسيا מָשִׁיחַ هو المخلص المُنتظَر، وهو قائد مُعَيَّن من قِبَل الله، وقد يكون ملكًا لإسرائيل لأنه يجب أن يخرج من صُلب داود الملك، وهو الذي سيحكم الشعب اليهودي، ويُوَحِّد أسباط إسرائيل، ويُعلن عن بدء العصر المسياني Messianic Age [٣]، والذي سيكون فيه - من وجهة نظر اليهود - العدل والسلام والحرية على الأرض بدون أي حروب أو جرائم أو فقر، وحسب نظر اليهود من خلال التلمود Talmud والمدراش Midrash وغيره، فإن المسيا المُنتظر سيأتي قبل سنة ٦٠٠٠ من خلق العالم (وحاليًا عام ٢٠٢٥م مثلًا يُقابل سنة ٥٧٨٥ للخليقة حسب العقيدة اليهودية والنتيجة اليهودية) [٤].

المطلب الثاني: النبوءات المتعلقة بالمسيّا في كتب الأنبياء (إشعياء، دانيال، حزقيال).

١. نبوءات إشعياء

إن نبوءة إشعياء تشير إلى مجيء المسيح كتحقيق للعهد الذي أُبرم مع داود، بوساطة ابن يولد من عذراء، يكون هو ذاته «الله الظاهر في الجسد» [٥]، ويُفهم من هذا أن الميلاد العذراوي ليس فقط تأكيدًا على هوية المسيح الإلهية والملوكية، بل هو أيضًا ضرورة لاهوتية لضمان استمرار

(١) لفظ ماشيحوت في عبرية العهد القديم معناه أن يمسح بالزيت المقدس، وقد شاع استعماله للتعبير عن مسح الكهنة والأنبياء والأمراء وبعض الأشياء لإضفاء نوع من القداسة عليها بعد مسحها بالزيت المقدس المسمى شمن أو شمن همیشیحاه أي زيت المسح. ناظم، منى: المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، الاتحاد للصحافة والنشر: سلسلة «نحن وهم « القاهرة: دار الهلال، ٢٠٠٧م، ص ٢٩.

(٢) قاموس الكتاب المقدس | دائرة المعارف الكتابية المسيحية.

(٣) العصر المسياني (Messianic Age) هو مفهوم ديني يَشير إلى فترة مستقبلية يُؤمِن فيها أتباع الديانات الإبراهيمية (خاصة اليهودية والمسيحية) بقدوم المسيح أو المخلِّص الذي سيُحقق السلام والعدل الكاملين على الأرض، يُعتقد أن هذا العصر سيكون فترة من الرخاء الروحي والمادي، حيث تختفي الشرور وتتحقق النبوءات المتعلقة بخلاص البشرية.

(4) Gérard - Henry Baudry: Baptism and its symbols at the sources of salvation, Paris: Editions Beauchesne, 2001, p 34 - 35

(٥) إشعياء ٩: ٦–٧

فاعلية العهد الداودي، حيث إن نفي هذا الميلاد يُفضي إلى بطلان هذا العهد [١]. ومن المنظور الإسكاتولوجي[٢] فإن تحقق هذا الميلاد يؤسس لرجاء المؤمن في عودة المسيح ثانية ليُتمّ الملك الأبدي، ومن هنا تتبيّن أهمية الإيمان بالميلاد العذراوي في النصوص الدينية اليهودية كعنصر جوهري في رجاء المؤمن الأخروي، أما لوقا فقد أظهر ذات الارتباط الوثيق بين الميلاد العذراوي وتحقيق العهد الداودي [٣]، من خلال الإشارة إلى بشارة الملاك جبرائيل لمريم، المخطوبة ليوسف من بيت داود [٤]، ويؤكد النص على أن الطفل الذي سيولد منها، يسوع، سيكون ابن الله وابن داود في آنٍ واحد، وأنه سيجلس على عرش داود ويملك إلى الأبد، مما يعزز الطابع الملوكي للمسيح وارتباطه المباشر بالعهد الإلهي مع داود [٥]. - نبوءة العبد المتألم: يصف إشعياء المسيح بأنه «عَبْدُ الرَّبِّ» الذي سيتألم من أجل خطايا شعبه: «مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا» [٦]، تُعد نبوءة العبد المتألم في سفر إشعياء (الإصحاح ٥٣) من أبرز النبوءات المسيانية التي تتناول بصورة واضحة ومباشرة الدور الفدائي للمسيح المنتظر، حيث يُشار إليه بصفته «عبد الرب»، ويُصوّر النص هذا العبد بوصفه الشخص الذي سيتحمّل طوعًا آلامًا جسدية ونفسية نيابةً عن الآخرين، إذ جاء في الآية الخامسة: «مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا، تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ، وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا»، فهذه الكلمات تعكس فهمًا عميقًا لطبيعة الفداء في الفكر النبوي، حيث يُقدّم العبد نفسه كذبيحة كفارية لتحمّل نتائج الخطية نيابة عن البشرية، مؤسسًا بذلك مبدأ السلام والمصالحة مع الله [٧]. - نبوءة الملك المسيا المنتظر: «لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ

(١) حبيب، صموئيل، وآخرون. دائرة المعارف الكتابية. مرجع سابق، ص ٦٣.

(٢) كلمة «المنظور الإسكاتولوجي» هو الرؤية المتعلقة بالأمور الأخيرة أو التفكير في نهاية العالم والخلاص. الإسكاتولوجيا تشير إلى الدراسة أو الاعتقادات المتعلقة بالأحداث النهائية في التاريخ، مثل يوم القيامة، الخلاص، أو المصير النهائي للبشرية، فالمنظور الإسكاتولوجي يعني النظرة أو التفسير الذي يركز على هذه الموضوعات.

(٣) العهد الداودي في المسيحية هو الوعد الإلهي لداود بأن نسله سيملك إلى الأبد، ويتحقق هذا العهد في شخص المسيح الذي يُعد الملك الأبدي من نسل داود.

(٤) لوقا ١: ٢٧، ٣٢–٣٣

(٥) خوشابا، شليمون إيشو، وزهريرا عمانوئيل بيتو يوخنا. قاموس عربي - سرياني، ص٥١.

(٦) إشعياء ٥٣: ٥

(٧) سميث، هوستن. أديان العالم: دراسة دينية ممتعة لأديان العالم. ترجمة: سعد رستم. الطبعة الثالثة، سوريا: دار الجسور الثقافية، ٢٠٠٨. ص ٤٣.

عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ» (١)، تُعد نبوءة إشعياء في الإصحاح التاسع، ولاسيّما في الآية السادسة، من أبرز الإعلانات النبوية عن مجيء الملك المسياني المنتظر، الذي سيُولد كطفل لكن سيتّسم بصفات إلهية وسيادية لا تُضاهى، يقول النص: «لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ. . . »، ما يُشير إلى أن هذا الطفل ليس مجرد مولود عادي، بل هو ابن يُعطى من الله للإنسانية، ويحمل على كتفيه المسؤولية الكاملة للحكم والقيادة، هذا التقديم النبوي يربط بين البعد الإنساني لمجيء المسيح – كمولود – والبعد الإلهي المتمثل في سلطانه الأبدي (٢).

٢. نبوءات دانيال

يحتوي سفر دانيال على نبوءات تتعلق بمجيء المسيح وملكوته الأبدي منها:

أ - نبوءة «ابن الإنسان»: يرى دانيال في رؤيا شخصًا يُدعى «ابن الإنسان» يأتي على سحاب السماء، ويُعطى سلطانًا ومجدًا وملكوتًا أبديًا: «كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَهُ زَوَالٌ وَمَلَكُوتُهُ لاَ يَنْقَرِضُ» (٣)، وتُعد نبوءة «ابن الإنسان» الواردة في سفر دانيال(٤) من أبرز النبوات المسيانية ذات البعد الأخروي، حيث يُصوّر النبي رؤيا سماوية يرى فيها شخصًا «كابن إنسان» آتيًا على سحاب السماء، يُقدَّم أمام «القديم الأيام» ويُمنح سلطانًا ومجدًا وملكوتًا لا يزول، وتُشير هذه الصورة النبوية إلى شخصية فريدة تجمع بين صفات بشرية وإلهية، حيث أن مجيئه على السحاب – وهي سمة إلهية في النصوص التوراتية – يدل على سمو مقامه، في حين أن لقبه «ابن الإنسان» يعبّر عن ارتباطه بالبشرية (٥).

(١) إشعياء ٩: ٦.

(٢) السيد، هاني عبد العزيز. الحركات اليهودية المسيحانية في ظل الإسلام: حركة شبتاي تسيفي نموذجًا. الطبعة الأولى، العراق: جامعة الأنبار، ٢٠١٢. ص ٣٧.

(٣) دانيال ٧: ١٣ - ١٤

(٤) الإصحاح ٧، الآيات ١٣–١٤

(٥) عبد المالك، بطرس، وألكساندر طمسن. قاموس الكتاب المقدس. الطبعة الثانية عشرة، مصر: دار الثقافة، ١٩٩٩. ص ٧٤.

ب - تحديد موعد مجيء المسيح: يقدم دانيال نبوءة «السبعين أسبوعًا» التي تحدد فترة زمنية لمجيء المسيح: «فَاعْلَمْ وَافْهَمْ أَنَّهُ مِنْ خُرُوجِ الأَمْرِ لِتَجْدِيدِ أُورُشَلِيمَ وَبِنَائِهَا إِلَى الْمَسِيحِ الرَّئِيسِ سَبْعَةُ أَسَابِيعَ وَاثْنَانِ وَسِتُّونَ أُسْبُوعًا»(١)، وتُعد نبوءة «السبعين أسبوعًا» في سفر دانيال من أكثر النبوات دقة في ما يخص توقيت مجيء المسيح المنتظر، حيث يُعلن الملاك للنبي دانيال أن الفترة الممتدة من لحظة صدور الأمر بإعادة بناء أورشليم حتى ظهور «المسيح الرئيس» هي سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعًا، أي ما مجموعه تسعة وستون أسبوعًا نبوياً، ووفقًا للتفسير الرمزي للأسابيع – حيث يُمثل كل «أسبوع» سبع سنوات – فإن هذه المدة تُمثّل ٤٨٣ عامًا، وهي فترة يرى العديد من المفسرين المسيحيين أنها تبدأ من مرسوم إعادة بناء أورشليم في عهد الملك أرتحشستا (٢)، وتنتهي مع دخول المسيح إلى أورشليم في ما يُعرف بأحد الشعانين (٣).

٣. نبوءات حزقيال:

يركز سفر حزقيال على استعادة إسرائيل وملكوته، ويشير إلى المخلص كراعٍ وملك:

أ - نبوءة الراعي الواحد: «وَأُقِيمُ عَلَيْهَا رَاعِيًا وَاحِدًا فَيَرْعَاهَا عَبْدِي دَاوُدُ هُوَ يَرْعَاهَا وَهُوَ يَكُونُ لَهَا رَاعِيًا» (٤)، وتُعد نبوءة الراعي الواحد في سفر حزقيال من النبوات المركزية التي تعكس رجاء إسرائيل في استعادة الملكوت تحت قيادة مخلّص يُشبه داود، ويُشار إليه هنا بوصفه «عبدي داود»، في هذا السياق يُقدَّم المخلّص المنتظر كراعٍ حقيقي يُقيمه الله بنفسه لرعاية شعبه، بعد أن فشل الرعاة السابقون – أي القادة الدينيون والسياسيون – في الاضطلاع بمسؤولياتهم تجاه الأمة، ويُبرز النص صفات هذا الراعي القادم، ومنها الأمانة والرعاية الصادقة والوحدة، حيث يُشير إلى أنه سيكون «راعياً واحداً»، في مقابل تعدد الرعاة السابقين الذين قادوا الشعب نحو الضياع (٥).

ب - نبوءة الملك داود: «وَعَبْدِي دَاوُدُ مَلِكٌ عَلَيْهِمْ وَيَكُونُ لِجَمِيعِهِمْ رَاعٍ وَاحِدٌ» (٦)، وتُعد نبوءة الملك داود في سفر حزقيال امتدادًا لوعود الله باستعادة ملكوت إسرائيل تحت قيادة مخلّص

(١) دانيال ٩: ٢٥

(٢) الملك أرتحشستا هو أحد ملوك فارس المذكورين في الكتاب المقدس، وقد عُرف بدعمه لليهود بعد السبي البابلي، حيث سمح لعزرا ونحميا بالعودة إلى أورشليم لإعادة بناء الهيكل وأسوار المدينة وتنظيم شؤون الشعب.

(٣) سعفان، كامل. اليهود تاريخًا وعقيدة. الطبعة الثانية، مصر: دار الاعتصام، ١٩٨٨. ص ٦٢.

(٤) حزقيال ٣٤: ٢٣

(٥) سميث، هوستن. أديان العالم: دراسة دينية ممتعة لأديان العالم، ص ٣٥.

(٦) حزقيال ٣٧: ٢٤

من نسل داود، يُشار إليه مرة أخرى بعبارة «عبدي داود»، ويظهر في هذا النص ارتباط وثيق بين الدورين الملكي والرعوي للمسيح المنتظر، حيث يُصوَّر على أنه «ملك عليهم» و«راعٍ واحد لجميعهم»، ما يعكس وحدة القيادة ووحدة الشعب تحت حكم إلهي عادل، في هذا الإطار تُشير النبوءة إلى عهد جديد يسود فيه السلام، وتُزال فيه الانقسامات التي مزقت الشعب في الماضي، خاصة بين مملكتي إسرائيل ويهوذا (١).

المطلب الثالث: تفسير النصوص في التلمود والمدراش.

أ - التلمود

يعتمد التلمود على منهجية تفسيرية معقدة، تشمل التحليل اللغوي، والمناقشة المنطقية، والاستشهاد بالتراث الشفوي، ويستخدم التلمود مجموعة متنوعة من الأدوات التفسيرية، مثل القياس، والاستنباط، والتأويل، ويتميز التلمود بتعدد الآراء والمناقشات بين الحاخامات، مما يعكس ثراء التراث اليهودي وتنوعه (٢). ويُعد التلمود من أهم المصادر الدينية والفكرية في التراث اليهودي، إذ يمثل المرجعية الأساسية للشريعة اليهودية (الهالاخاه) (٣)، ويُقدِّم إرشادات شاملة لتنظيم الحياة الدينية والعملية لليهود. يتكوَّن التلمود من قسمين رئيسين: المشناه، وهي مجموعة من التعاليم الشفوية التي جُمعت ودُوّنت في القرن الثاني الميلادي، والجمارا، وهي مناقشات وشروح لاحقة من الحاخامات تتناول المشناه بالتحليل والتفسير. ومن خلال هذا التركيب، يُشكِّل التلمود بنية قانونية وفكرية معقّدة تُنظِّم العبادة والطقوس اليومية والمعاملات المدنية والجنائية، فضلًا عن المبادئ الأخلاقية والاجتماعية (٤).

إلى جانب وظيفته القانونية المزعومة فهو يعكس تطوّر الفكر اليهودي عبر القرون، ويتميّز أسلوب التلمود بالحوار الجدلي والتفسيري، حيث يُعرض الرأي والرأي المضاد، ما يعكس منهجًا تربويًا يعزز النقد والتحليل، وبهذا لا يقتصر دور التلمود على الجانب التشريعي فحسب، بل

(١) عرابي، رجا عبد الحميد. سفر التاريخ اليهودي. الطبعة الثالثة، سوريا: دار الأوائل، ٢٠٠٩. ص ٤٧.

(٢) عبد المجيد، محمد بحر. اليهودية. الطبعة الأولى، مصر: مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، ٢٠٠١. ص٩١.

(٣) الهالاخاه (Halakhah) هي الشريعة أو القانون الديني في اليهودية، وتشمل مجموع الأحكام والتشريعات المستمدة من التوراة المكتوبة والشفوية، والتي تنظّم حياة اليهود الدينية واليومية.

(٤) المسيري، عبد الوهاب. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية. الطبعة الأولى، مصر: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٥. ص ١٢٧.

يُمثِّل مرآة للفكر الديني والثقافي اليهودي، وسجلًا تاريخيًا لتطوّر الهوية اليهودية في سياقاتها المختلفة، يُنظر إلى التلمود في الفكر الإسلامي على أنه كتاب يحوي تفسيرات وتشريعات بشرية لليهود، كما يحوي تحريفًا أو آراء تتعارض مع العقيدة الإسلامية، خاصة فيما يتعلق بالأنبياء والتصورات اللاهوتية (١).

ب - المدراش:

المدراش هو مجموعة من الكتابات التي تشمل تفسيرات وتوضيحات للنصوص التوراتية، مع التركيز على الجوانب الأخلاقية والروحية، ويستخدم المدراش القصص والأمثال والحكايات لتوضيح المعاني العميقة للنصوص التوراتية، ويهدف المدراش إلى تطبيق تعاليم التوراة على الحياة اليومية، وتقديم توجيهات أخلاقية وروحية لليهود (٢). ويعتمد المدراش على منهجية تفسيرية أدبية، تستخدم اللغة المجازية والرمزية، كما يستخدم المدراش القصص والأمثال والحكايات لتوضيح المعاني العميقة للنصوص التوراتية، ويركز المدراش على الجوانب الأخلاقية والروحية للنصوص التوراتية، ويهدف إلى تطبيقها على الحياة اليومية (٣).

يُعدّ المدراش أحد المصادر الأساسية للفكر الديني اليهودي، ويهدف إلى تفسير نصوص التوراة تفسيرًا روحيًا وأخلاقيًا يتجاوز القراءة الحرفية للنص، ويتضمن المدراش تعليقات موسعة تهدف إلى الكشف عن المعاني العميقة والرمزية للكتاب المقدس، ويُقدَّم في شكل دروس ومواعظ وقصص تهدف إلى توجيه السلوك الفردي والجماعي، ومن خلال هذا المنهج التفسيري، يسعى المدراش إلى مساعدة اليهود على فهم تعاليم التوراة بشكل يتلاءم مع ظروفهم المتغيّرة وتحدياتهم التاريخية والثقافية، مما يجعله أداة فعالة لتجديد الفهم الديني وتعميقه (٤).

ج - تأثير التلمود والمدراش

كان للتلمود والمدراش تأثير عميق ومستدام على مزاعم الثقافة اليهودية، حيث لعبا دورًا محوريًا في تشكيل مزاعم الهوية الدينية والثقافية لليهود عبر التاريخ، فقد ساعد التلمود باعتباره المصدر الأساسي للشريعة اليهودية، في الحفاظ على النظام القانوني والتشريعي داخل المجتمعات

(١) ظاظا، حسن. الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه، ص ١١٢.
(٢) المسيري، عبد الوهاب. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية، ص ١٢٨.
(٣) عرابي، رجا عبد الحميد. سفر التاريخ اليهودي. ص ٩٦.
(٤) المسيري، عبد الوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. الطبعة الأولى، مصر: دار الشروق، ١٩٩٩. ص ٩٧.

اليهودية، ما مكنهم من الحفاظ على هويتهم الدينية، خاصة في فترات الشتات التي شهدت تشتت اليهود عبر العديد من البلدان، ومن ناحية أخرى، ساهم المدراش في تعزيز الفهم الروحي والأخلاقي للنصوص المقدسة، مما مكن اليهود من الحفاظ على تراثهم الثقافي والروحي، رغم الضغوط الخارجية والاضطرابات التاريخية [١]. ولا يزال مزاعم التلمود والمدراش يمثلان مصدرًا هامًا للدراسة والتفسير في المجتمعات اليهودية الحديثة، حيث يتم الرجوع إليهما في مجال التعليم الديني والتأمل الروحي، فالتلمود يظل مرجعًا رئيسيًا للحفاظ على التقاليد القانونية اليهودية وتطبيقها في الحياة اليومية، في حين يواصل المدراش إلهام الجيل الجديد من خلال قصصه وأمثاله التي تحمل دروسًا أخلاقية وروحية[٢].

المطلب الرابع: دور المشحانية في تشكيل الهوية اليهودية

١. المشيحانية كمحرك للتاريخ

لم تكن المشيحانية مجرد فكرة دينية سلبية أو انتظارية، بل كانت أيضًا قوة محركة أساسية في التاريخ اليهودي، حيث دفعت العديد من الحركات والظواهر المشيحانية إلى اتخاذ خطوات عملية في سبيل تحقيق الخلاص، هذا التوجه دفع اليهود إلى السعي لتحقيق حلم العودة إلى أرض الميعاد، وهو ما ترجم إلى موجات من الهجرات الجماعية إلى فلسطين، بما في ذلك الهجرات الصهيونية في العصور الحديثة [٣].

أحد أبرز الأمثلة على هذا التأثير كان حركة شبتاي تسفي في القرن السابع عشر، التي أحدثت زلزالًا في المجتمع اليهودي حينما ادعى شبتاي تسفي أنه هو المسيح المنتظر، وهذه الحركة اجتذبت أعدادًا هائلة من الأتباع الذين آمنوا به كالمخلص الذي سيحقق الخلاص للشعب اليهودي، ورغم أن الحركة انتهت بشكل مأساوي مع تحول شبتاي تسفي إلى الإسلام تحت الضغط العثماني، إلا أن تأثيرها على الفكر اليهودي كان عميقًا، حيث شكلت نقطة تحول في طريقة تفكير اليهود حول المخلص وكيفية التفاعل مع الواقع التاريخي، وهذه الحركات

(١) المسيري، عبد الوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ص١٣٨.
(٢) فتاح، عرفان عبد الحميد. اليهودية: عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية، ص ١٠٩.
(٣) انترمان، الان. اليهود: عقائدهم الدينية وعبادتهم. ترجمة: عبد الرحمن الشيخ. الطبعة الأولى، مصر: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٤. ص ٤٢.

المشيحانية أكدت أن فكرة الخلاص كانت قوة ديناميكية، تدفع اليهود نحو تحركات تاريخية ملموسة بدلاً من انتظارها فقط (١).

٢. المشيحانية والهوية الحديثة

في العصر الحديث، لعبت المشيحانية دورًا معقدًا في تشكيل الهوية اليهودية، حيث تجسدت بشكل خاص في الحركة الصهيونية التي سعت إلى تحقيق الخلاص من خلال إقامة دولة يهودية في فلسطين، وبالنسبة للعديد من اليهود، كانت الصهيونية بمثابة تجسيد عملي لتوقعاتهم المشيحانية، حيث تم رؤية العودة إلى أرض الميعاد كخطوة نحو تحقيق التطلعات الدينية والتاريخية للشعب اليهودي (٢).

أثارت المشيحانية الحديثة جدلاً واسعًا حول العلاقة بين الدين والسياسة، وخاصة فيما يتعلق بطبيعة الدولة اليهودية، فبينما يرى البعض أن إقامة دولة إسرائيل المزعومة تمثل تحقيقًا للمشاريع المشيحانية التقليدية، يرى آخرون أن الصهيونية السياسية الحديثة ليست بالضرورة مرتبطة بالمفهوم الديني للمسيح المنتظر (٣).

٣. تأثير المشيحانية على الثقافة اليهودية

لقد تركت المشيحانية بصماتها العميقة والواضحة على الثقافة اليهودية في مجالات متعددة مثل الأدب، والشعر، والموسيقى، والفن، فقد تأثرت الأعمال الأدبية والشعرية اليهودية بتوقعات الخلاص وتطلعات المسيح المنتظر، مما أدى إلى ظهور العديد من الأعمال التي تعبر عن هذه الرؤى الدينية والتاريخية في مجال الموسيقى والفن، استخدم الفنانون اليهود الرموز والموضوعات المشيحانية للتعبير عن الأمل في المستقبل وعودة الخلاص (٤).

من جهة أخرى أثرت المشيحانية بشكل ملحوظ على الفكر الأخلاقي اليهودي، حيث أكدت على قيم العدل والرحمة والسلام، وهي القيم التي كان يُعتقد أنها ستسود في العصر

(1) Scholem, Gershom. Sabbatai Sevi: The Mystical Messiah, p43.

(٢) حسن، محمد خليفة. البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي. الطبعة الأولى، مصر: مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، ١٩٩٩. ص ٤٧.

(٣) حسين، نور ناجح. المنقذ في الأديان: دراسة تاريخية مقارنة، العراق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، ٢٠١٩. ص ٦١.

(٤) حسين، نور ناجح. المنقذ في الأديان: دراسة تاريخية مقارنة، ص ٧٧.

المسيحاني [١]، وهذه القيم أصبحت جزءًا من الأسس الأخلاقية التي تشكلت حولها تعاليم التوراة والممارسات الدينية اليهودية، مما جعلها تشكل توجيهًا فكريًا للأجيال القادمة، وبالتالي فإن تأثير المشيحانية لم يكن محصورًا في المجال الديني فقط، بل امتد ليشمل جميع جوانب الحياة الثقافية والاجتماعية، حيث كانت بمثابة مرشد أخلاقي وفلسفي للمجتمع اليهودي في مختلف عصور التاريخ [٢].

المطلب الخامس: علاقة المشحانية بالحركة الصهيونية وإقامة دولة إسرائيل المزعومة.

صهيون zion «تسيون» اسم تل وقلعة في القدس (يشار له في اللغة العربية ب «جبل المكبر» أو «جبل الزيتون»، وأصل الاسم غير معروف ولكن هناك من ذهب إلي القول بأن الاسم مشتق من الكلمة الحورية «صيا» التي تعني «قلعة أو صخرة أو مكانا جافا أو ماء جاريا» [٣]. أما الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة؛ تهدف الي إقامة دولة لليهود في فلسطين، وهي مشتقة من اسم (جبل صهيون) في القدس الذي يزعمون أنه موضع هيكل سليمان عليه السلام [٤].

الصهيونية ليست وليدة هذا العصر فقد مرت بمراحل كثيرة منذ القرون الأولى قبل ظهور المسيحية وبعدها وقبل ظهور الإسلام وبعده، وكانت مراحلها الأولى مهمتها تحريض اليهود على الانتقاض والعودة إلى أرض فلسطين وبناء هيكل سليمان، وتأسيس مملكة وإسرائيل الكبرى، وحبك المؤامرات والمكائد ضد الأمم والشعوب الأخرى، فقد استخدم الاسم، في بداية الأمر، للإشارة إلي قلعة اليبوسيين جنوب شرقي القدس أسفل تل أوفيل وجبل الهيكل أو جبل البيت أو هضبة الحرم، وقد سميت «بيت داود» بعد أن وقعت في يد داود [٥].

(١) العصر المسيحاني في الفكر اليهودي هو الحقبة المستقبلية التي يأتي فيها المسيح المنتظر (المشياح)، حيث يسود السلام والعدل، ويُعاد بناء الهيكل في أورشليم، ويجتمع اليهود من الشتات، وتتحقق السيادة الإلهية الكاملة على الأرض.

(٢) الدبوسي، منى ناظم. المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية. الطبعة الأولى، الإمارات: مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر، ١٩٨٩. ص ٥٣.

(٣) المسيري، عبدالوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (١٨٦/١٣).

(٤) الموسوعة الميسرة في المذاهب والأديان والأحزاب المعاصرة، للندوة العالمية للشباب الإسلامي(٤٣١/١ - ٤٣٢)

(٥) رزوق، أسعد. التلمود والصهيونية، منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٧٠م ص ٧٤.

أما الصهيونية الحديثة فقد بدأت نواتها الأولى عام ١٨٠٦م حين اجتمع المجلس الأعلى لليهود بدعوة من نابليون - لاستغلال أطماع اليهود وتحريضهم على مساعدته - ثم أسس هرتزل الحركة الصهيونية بهدف قيادة يهود العالم لإقامة دولتهم في فلسطين، وقد فاوض هرتزل السلطان عبد الحميد بهذا الخصوص مرتين لكنه أخفق، وعند ذلك عملت اليهودية العالمية على إزاحة السلطان وإلغاء الخلافة الإسلامية على يد أتاتورك، وهو من يهود الدونمة، وعقد أول مؤتمر للحركة الصهيونية عام ١٨٩٧م، في بال بسويسرا، وانبثق منه اللجان ورصد له الدعم المالي، لتوسيع دائرة الحركة الصهيونية، وقد نجحت في مخططاتها واعلن قيام الكيان الصهيوني في فلسطين عام ١٩٤٨م [١].

أ - الجانب الديني، ويتلخص فيما يلي: [٢]

١ - إثارة الحماس الديني بين أفراد اليهود في جميع أنحاء العالم، لعودتهم إلى أرض الميعاد المزعومة (أرض فلسطين).

٢ - حث سائر اليهود على التمسك بالتعاليم الدينية والعبادات والشعائر اليهودية والالتزام بأحكام الشريعة اليهودية.

٣ - إثارة الروح القتالية بين اليهود، والعصبية الدينية والقومية لهم للتصدي للأديان والأمم والشعوب الأخرى.

ب - الجانب السياسي

ويتلخص فيما يلي: [٣]

١ - محاولة تهويد فلسطين (أي جعلها يهودية داخلياً) وذلك بتشجيع اليهود في جميع أنحاء العالم على الهجرة إلى فلسطين وتنظيم هجرتهم وتمويلها، وتأمين وسائل الاستقرار النفسي والوظيفي والسكنى وذلك بإقامة المستوطنات داخل أرض فلسطين.

٢ - تدويل الكيان الإسرائيلي في فلسطين عالمياً، وذلك بانتزاع اعتراف أكثر دول العالم بوجود دولة إسرائيل المزعومة في فلسطين وشرعيتها وضمان تحقيق الحماية الدولية لها، وفرضها على العالم، وعلى المسلمين على وجه الخصوص.

(١) معوض، عبدالعزيز محمد. الموسوعة الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م. ص ١٢٤.
(٢) معوض، عبدالعزيز محمد. الموسوعة الفلسطينية، ص ٨٩.
(٣) رزوق، أسعد. التلمود والصهيونية، ص ٤٩.

٣ - متابعة وتنفيذ المخططات اليهودية العالم السياسية والاقتصادية، خطوة بخطوة، ووضع الوسائل الكفيلة بالتنفيذ السريع والدقيق لهذه المخططات، ثم التهيئة لها إعلاميا وتمويلها اقتصاديا، ودعمها سياسيًا.

٤ - توحيد وتنظيم جهود اليهود في جميع العالم أفراد وجماعات ومؤسسات ومنظمات، وتحريك العملاء والمأجورين عند الحاجة لخدمة اليهود وتحقيق مصالحهم ومخططاتهم.

ج - علاقة الصهيونية بالأصولية اليهودية

إن الحركة الأصولية ظهرت في طورها الحديث في أواسط القرن العشرين، كرد فعل لحدثين منفصلين

الأول: هو خيبة أمل اليهود في الحداثة الأوروبية التي جلبت عليهم الاضطهاد في ألمانيا النازية، فأيقنوا أن الخلاص إنما يتحقق في النزوح إلي الأرض المقدسة للعكوف على التعبد، وإحياء تعاليم التوراة.

الثاني: الانعزال عن المجتمعات العلمانية والخروج على فكرة «الدولة» التي تجسد في نظرهم تعاليم الشيطان [١].

ولكنهم عندما وصلوا إلى فلسطين وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام الصهاينة الذين كانوا متورطين حينذاك في إنشاء دولة علمانية، وكان هذا الصراع بين التيارين أدى إلى ترسيخ الأصولية المتمثلة في الأحزاب الدينية، فقد سبق الإشارة إلى أن الصهيونية في جوهرها حركة علمانية لا دينية، فإن ظهورها أثر تأثيرا عميقاً في اليهودية والفكر الديني اليهودي إلى درجة أن اليهودية الأصولية الأرثوذكسية بدأت بمعاداة الصهيونية، ولكن هناك كثير من علماء الدين اليهودي يتحدثون عن دولة إسرائيل المزعومة كما لو كان لها معنى أخروي ميتافيزيقي، وأنها علامة على تدخل الاله في التاريخ لينقذ شعبه ويأتي له بالخلاص تماما كما فعل في واقعة الخروج [٢].

وقد قرن أحد المفكرين الدينيين اليهود بين الإله والدولة إلى درجة أنه صرح عام ١٩٦٧م بأن الإله نفسه مهدد في هذه الحرب! وقد ظهر إلى جانب الصهيونية ما يسمى «اليهودية الإثنية» التي أعادت تعريف اليهودية بحيث أفرغتها من محتواها الديني والأخلاقي أو جعلته في المرتبة الثانية وأكدت محتواها الإثني، فأصبح بإمكان اليهودي الذي لا يؤمن بالإله ولا يمارس التحريمات

(١) علّوش، ناجي الماركسية والمسألة اليهودية - بيروت: دار الطليعة. ١٩٦٩م. ص ٦٨

(٢) المسيري، عبد الوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ص ٢٤٣.

الخاصة بالطعام أن يصر على تسمية نفسه يهودياً ورغم انتصار الصهيونية الكاسح، فلا تزال توجد جهود مقاومة بين اليهود الأرثوذكس والإصلاحيين [١].

وقد كانت جماعة «ايداح حاريديم»، وهي مجموعة يهود أرثوذكس متطرفين، يوجدون في القدس ويعارضون الصهيونية بعنف حتي قبل وعد بلفور بزمان طويل، ولأنهم كانوا مستغرقين في نصوصهم المقدسة، فلم تكن لديهم أدنى فكرة عن كيفية تنظيم أنفسهم سياسيا، بيد أنه سرعان ما لحق بهم أعضاء من حزب (اجودات - اتحاد إسرائيل) الذين كانوا قد تعلموا قواعد اللعبة السياسية الحديثة، وكان اتحاد «إسرائيل» مازال معارضا للصهيونية - إلا أن الأعضاء حاولوا أن يوازنوا أثر العلمانيين، بإنشاء مستوطناتهم الدينية، فكان الشباب يدرسون العلوم الحديثة، إلى جانب التوراة، والتلمود، وقد قوبل هذا التنازل بالامتعاض الشديد من جانب الأرثوذكس المتطرفين المشددين، وتولد عن هذا الصراع الداخلي بين الأرثوذكس حركة أصولية، وشن زعيم هذه الجماعة الحاخام حاييم اليعازر شابيرا حملة عنيفة ضد حزب اتحاد «إسرائيل» لأنهم يتعاملون مع الصهاينة، ويشوهون تفكير أطفال المدارس بأغاني تتحدث عن استيطان الأرض، وعن حقول وكروم أرض «إسرائيل» تماما مثل الشعراء الصهاينة، وكانوا بهذا يدنسون الأرض المقدسة المخصصة - فقط - للصلاة المقدسة، وهم يحرثون تربتها ذات القدسية [٢].

وعلى الرغم من هذا إلا أن هناك نقاط التقاء بين كلا من الأصولية والصهيونية أهمها الكره المتمكن للعرب عمومًا، سواء من كان في خدمة المحتل، أو من كان من المقاومة، وإلا كيف نفسر هذا الموقف المتهاون للسلطة السياسية والعسكرية من الأحزاب الدينية، ومن تمرد وتطاول جولدشتاين على تنفيذ الأوامر العسكرية، فالقرب من مستوطنة (كريات الأربع) حدثت المجزرة الإبراهيمية، ومع آذان صلاة فجر يوم ٢٥/ فبراير من عام ١٩٩٤م، الموافق آنذاك ١٥/ رمضان /١٤١٤هـ، غادر (باروخ جولدشتاين) - الطبيب الذي أقسم مثل غيره ساعة تخرجه على إنقاذ الحياة البشرية، مستوطنة (كريات أربع) برفقه أعوانه متوجها للمسجد الإبراهيمي، محملا ببندقيته العسكرية الرشاشة، وقنابل يدوية، وكميات هائلة من الذخيرة، ليختبئ كاللص الغادر خلف أحد أعمدة المسجد الإبراهيمي يترقب سجود المصلين، وانتهت هذه المجزرة بقتل ٢٩

(١) بدوي، جمال. الأصولية اليهودية ترفض الدولة العبرية لأنها تجسيد للشيطان، صحيفة الشرق القطرية بتاريخ ٢٠٠٥/١/٣١م،

(٢) فتاح، عرفان عبد الحميد. اليهودية: عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية. ص١٦٨.

مسلما مصلياً من أطفال ورجال، وإصابة ٣٠٠ آخرين [١].

وتحدثت أميمة الجلاهمة عن موقف سلطة الكيان المحتل السياسي، من هذه المجزرة ومن منفذها، معتمدة في إظهار ذلك على أقوال وأفعال اليهود، موقف يتضح من خلاله التحام سلطة الكيان الصهيوني والأصوليين من ناحية محددة تكاد لا تخرج لغيرها، بإمكاننا حصرها في كراهيتهم للعرب بشكل عام، وللفلسطينيين بشكل خاص [٢].

فالمشروع الصهيوني عندما طرح على اليهود ارتكز على مقولات توراتية حتى يضمن اليهود الأصوليين وكافة الحركات اليهودية الدينية، إلا أن تعدد الاتجاهات الدينية اليهودية وكذلك تعدد المذاهب والتفاسير لمقولات التوراة جعلت من بعض الحركات الأصولية اليهودية مناقضا للمشروع الصهيوني، وهذا التناقض نابع من الأستناد على تفسيرات دينية خاصة، قد تخالف ظاهرها المشروع الصهيوني ولكنها تتجاوب مع أجزاء منه في جوهرها [٣]. وليس بخاف على اليهود ولا على المطلعين على الحركة الصهيونية الحديثة أن جماعات وزعامات يهودية (دينية وفكرية) ترفض قيام دولة يهودية متميزة بل تعكس النبوءات التوراتية على أهلها، وتقول إن قيام هذه الدولة هو نذير الهلاك والفناء لليهود، ولها على ذلك أدلة وشواهد من الأسفار والمزامير ومن واقع التاريخ، وعلى الرغم من هذا التناقض الذي يظهر أحيانا إلا أن الصهيونية قد تفطنت إلى خطر هذا الاختلاف فحاولت أن تصل إلى لغة مشتركة بين العلمانيين والدينيين وأن تكسب طائفة من الأصوليين بينها [٤].

وقد نجح هذا التخطيط الدبلوماسي في تشجيع هجرة اليهود من خارج فلسطين إلى داخلها وتحريض اليهود على البذل في سبيل قيام دولة إسرائيل المزعومة، حتى أن بن غوريون العلماني والذي لا يؤمن بإله يعتبر أن العهد بين الله والشعب الذي منح الخالق بمقتضاه الشعب أرض فلسطين المقدسة كانت بمثابة الأسطورة الشعبية لديه، ومع هذا كان يهمه أن تبقى هذه الأسطورة مغروسة في الضمير اليهودي، وفي المقابل نجد أن غالب الأصوليين قد تفهموا الأمر

(1) Israel. European Jewry in the Age of Mercantilism, 1550–1750. Oxford, 1985 P69.

(٢) جولد شتاين. النموذج الأصولي للكيان الصهيوني، أميمة أحمد الجلاهمة، نشرت على هذا الرابط: http: ///34777 www. isIamseiect. com/mat (بتصرف).

(٣) عبد الباري، فرج الله. اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري. الطبعة الأولى، مصر: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٤. ص ٨٤.

(٤) المسيري، عبد الوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. ص ٢٦١.

وطوروا من نظرتهم السياسية حقي أصبحت الحركة الصهيونية مقبولة لديهم فصار المشروع الصهيوني بداية الخلاص (١).

د - المشحانية كدافع للحركة الصهيونية

لقد كانت الأفكار المشحانية عنصرًا أساسيًا ومحفزًا للحركة الصهيونية، حيث شكلت الاعتقاد بعودة اليهود إلى أرض الميعاد دافعًا قويًا لتحقيق المشروع الصهيوني، ففي الوقت الذي كانت فيه المشحانية تؤكد على الخلاص المرتقب عبر عودة اليهود إلى فلسطين، كانت الحركة الصهيونية تعتبر هذه العودة خطوة نحو تجسيد نبؤات التوراة وإحياء الأمة اليهودية في أرضها التاريخية، وقد رأى العديد من الصهاينة أن إقامة دولة يهودية في فلسطين ليست فقط حاجة سياسية، بل تحقق أيضًا التطلعات المشحانية التي كانت تشبع تطلعات الشعب اليهودي لأجيال عديدة (٢).

استغل قادة الحركة الصهيونية هذه الأفكار المشحانية بشكل استراتيجي لتعبئة الجماهير اليهودية وحشد الدعم الدولي لإقامة دولة يهودية؛ من خلال ربط فكرة الصهيونية بأمل الخلاص المشحاني، تم تحفيز العديد من اليهود على المشاركة في هذا المشروع الوطني والديني، ولقد استخدم القادة الصهاينة هذه الأفكار ليس فقط لتوحيد الشعب اليهودي من مختلف أنحاء العالم في هدف واحد، ولكن أيضًا لاستقطاب الدعم من الدول الكبرى، مما جعل الحركة الصهيونية أكثر قوة وتأثيرًا، وبهذا الشكل لعبت المشيحانية دورًا مركزيًا في تشكيل وتحفيز الحركة الصهيونية التي أسفرت عن إقامة دولة إسرائيل (٣).

ويمكن رؤية المشحانية كدافع للحركة الصهيونية على أنها ليست مجرد فكرة دينية بريئة، بل أداة استُغلت لتكريس مشروع استعماري بمساندة قوى دولية، هذا الاستغلال للمشحانية لم يقتصر على تحفيز الهجرة اليهودية إلى فلسطين، بل امتد ليصبح مبررًا لتهجير الشعب الفلسطيني ومصادرة أراضيه، إضافة لأن هذا النهج يتناقض مع مبادئ العدالة والتعايش التي تدعو إليها الأديان السماوية، بما فيها اليهودية ذاتها، فالاستناد إلى تفسيرات مشحانية متشددة لتبرير الاحتلال يُعدّ تحريفًا للدين، مما يجعل الحركة الصهيونية مشروعًا سياسيًا أكثر منه دينيًا (٤).

(١) ماضي، عبد الفتاح محمد. الدين والسياسة في إسرائيل. الطبعة الأولى، مصر: مكتبة مدبولي، ١٩٩٩. ص ٦٩.
(٢) حسن، محمد خليفة. البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي، ص ٤٥.
(٣) الدبوسي، منى ناظم. المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، ص ٥٩.
(٤) عبد الباري، فرج الله. اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري. ص ١٧٣.

هـ - المشيحانية وإقامة دولة إسرائيل المزعومة

شكّلت إقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م نقطة تحول جوهرية في مسار الفكر المشحاني، حيث أعادت هذه الحادثة إحياء النقاشات القديمة حول مفهوم الخلاص ومتى وكيف يتحقق، فبالنسبة لبعض التيارات الدينية، خُصوصًا داخل الأوساط اليهودية الأرثوذكسية القومية، اعتُبر تأسيس الدولة تحقيقًا جزئيًا للنبؤات التوراتية ومؤشرًا واضحًا على بداية العصر المسيحاني، حيث استعاد اليهود سيادتهم على أرضهم التاريخية بعد قرون من الشتات والاضطهاد، ورأى هؤلاء في قيام الدولة خطوة إلهية تمهد الطريق لمجيء المسيح المنتظر، معتبرين أن عودة اليهود إلى صهيون تُمثّل إرهاصًا لتتميم الخلاص النهائي [١]. كما أن إقامة دولة إسرائيل أعادت تشكيل استخدامات الفكر المشيحاني في المجال السياسي والدبلوماسي، إذ أصبحت المشيحانية مرجعية رمزية تُستدعى في لحظات الأزمات السياسية الكبرى، مثل الحروب والنزاعات مع الفلسطينيين والعرب عمومًا، لتأكيد «الشرعية التاريخية والدينية» للدولة. وقد استُخدم هذا التوظيف بشكل خاص في الخطاب الرسمي الإسرائيلي لتسويغ ممارسات الاحتلال والاستيطان في الضفة الغربية والقدس، باعتبارها خطوات على طريق استرداد «أرض الميعاد»، لا مجرد سياسات آنية، وهكذا أصبحت المشيحانية بمثابة أداة مزدوجة، تجمع بين البعد الرمزي الديني والوظيفة السياسية العملية، لتعزيز الشعور القومي وتبرير المواقف الاستراتيجية في الداخل والخارج [٢].

(١) الشرقاوي، جمال الدين. المسيح والمسيا. الطبعة الأولى، مصر: مكتبة النافذة، ٢٠٠٦. ص ٥٧.
(٢) الشرقاوي، جمال الدين. المسيح والمسيا. ص٩٧.

خاتمة البحث

في ضوء ما سبق يتّضح أن التداخل بين العقيدة المشيحانية ومفهوم الدولة الحديثة قد أفرز جملة من التحديات العميقة داخل المجتمع الإسرائيلي، حيث برزت انقسامات حادّة بين التيارات الدينية التي تطالب بإضفاء طابع ديني أوسع على الدولة باعتباره تجسيدًا للوفاء للتقاليد المشيحانية، وبين التيارات العلمانية التي ترى في هذا التوجّه تهديدًا للهوية الديمقراطية والمدنية للدولة، وقد أسهمت هذه التناقضات في تصاعد حدّة الخطاب الديني والسياسي المتطرف، الذي يسعى إلى توسيع المشروع الديني والسياسي معًا، وإعادة تشكيل القوانين والنظام العام بما يتوافق مع التفسيرات الدينية للنبوءات، الأمر الذي يُنذر بتصاعد التوتر بين الطموحات العقائدية والمقتضيات المدنية في المجتمع الإسرائيلي المعاصر [١].

في الوقت نفسه فالمشحانية كفكرة صهيونية أسهمت في خلق حالة من الاستقطاب الديني والثقافي في المنطقة، مما زاد من تعقيد الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي، وهذه الفكرة التي تُروج لفكرة «الشعب المختار» و«أرض الميعاد»، لم تؤدِ فقط إلى تعزيز الشعور بالاستحقاق لدى اليهود المستوطنين، بل أيضًا إلى تغذية خطاب الكراهية والعنصرية ضد الفلسطينيين، من هنا يبرز التحدي لمواجهة هذا الخطاب بمنهجية تعتمد الحوار والحقائق التاريخية، مع التمسك بحق الشعب الفلسطيني في أرضه، دون الوقوع في فخ استنساخ التعصب الذي يغذيه التطرف الصهيوني [٢].

ويرى الباحث أن المشحانية كدافع للحركة الصهيونية لم تكتفِ فقط بتوفير الغطاء الإيديولوجي للاستيطان، بل ساهمت في تبرير جرائم جسيمة ضد الشعب الفلسطيني، هذه الجرائم تشمل التهجير القسري لمئات الآلاف من الفلسطينيين خلال النكبة عام ١٩٤٨م، وتدمير مئات القرى الفلسطينية، والاستيلاء على الأراضي والممتلكات باسم «استعادة أرض الميعاد»، كما أن استمرار سياسات الاحتلال، مثل بناء المستوطنات غير الشرعية، وهدم المنازل، والاعتداءات على الفلسطينيين، تعكس كيف تحولت المشحانية إلى أداة لتبرير الظلم والقمع، وهذه الأفعال

(١) ظاظا، حسن. الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه. ص٢١٠.
(٢) ماضي، عبد الفتاح محمد. الدين والسياسة في إسرائيل. ص ٢٧٣.

التي تُرتكب تحت راية التفسيرات الدينية المتطرفة، تتناقض مع القيم الأخلاقية التي تدعو إليها الأديان، وتؤكد أن الحركة الصهيونية استخدمت المشحانية كذريعة لانتهاكات حقوق الإنسان والقوانين الدولية.

ويمكن القول إن توظيف المشيحانية في إقامة دولة إسرائيل لم يكن مجرد تطور ديني داخلي في الفكر اليهودي، بل كان جزءًا من منظومة متكاملة من التحالفات السياسية والاستراتيجية، شملت قوى استعمارية كبرى دعمت المشروع الصهيوني لأسباب تتعلق بالمصالح الجيوسياسية في المنطقة، لقد جرى تقديم المشيحانية كغطاء أخلاقي وديني لإضفاء الشرعية على مشروع استعماري حديث، تجاهل الحقوق التاريخية والسياسية للشعب الفلسطيني، وهمّش الواقع الديمغرافي والإنساني لفلسطين ما قبل النكبة، وبالتالي فإن قراءة هذه الظاهرة من زواياها الفكرية والسياسية والدينية تُعد ضرورة لفهم طبيعة الصراع وأبعاده العميقة، بعيدًا عن التبسيط أو التفسير الأُحادي.

توصيات البحث:

١. ضرورة تعميق الدراسات الأكاديمية حول الفكر المشيحاني في الموروث الديني اليهودي، للكشف عن أبعاده العقدية والسياسية وتأثيره في تشكيل الهوية الصهيونية المعاصرة.

٢. الدعوة إلى إعادة قراءة النصوص الدينية اليهودية قراءة نقدية تحليلية تُبرز التوظيف الأيديولوجي الذي قامت به الصهيونية لخدمة أهدافها السياسية.

٣. تشجيع الباحثين في مجالات مقارنة الأديان والسياسة على دراسة العلاقة بين الدين والدولة في إسرائيل، لفهم طبيعة التناقضات الداخلية التي تهدد استقرارها الاجتماعي والسياسي.

مقترحات البحث المستقبلية:

١. دراسة انعكاس الفكر المشيحاني في الأدب والفن العبري الحديث، بوصفه وسيلة للتأثير الثقافي ونشر العقيدة الصهيونية.

٢. تحليل الخطاب الديني الصهيوني المعاصر في ضوء التطورات السياسية الراهنة، خاصة ما يتعلق بالصراع العربي–الإسرائيلي.

٣. تناول موقف المفكرين اليهود المعاصرين من المشيحانية ومدى نقدهم لتوظيفها في الأيديولوجيا الصهيونية.

المراجع والمصادر العربية

١. الكتاب المقدس | دائرة المعارف الكتابية المسيحية.
٢. الإمام، سامي. الفكر العقدي اليهودي. الطبعة الأولى، مصر: دار الشروق، ٢٠١٠.
٣. انترمان، الان. اليهود: عقائدهم الدينية وعبادتهم. ترجمة: عبد الرحمن الشيخ. الطبعة الأولى، مصر: الهيئة العامة للكتاب، ٢٠٠٤.
٤. بدوي، جمال. الأصولية اليهودية ترفض الدولة العبرية لأنها تجسيد للشيطان، صحيفة الشرق القطرية بتاريخ ٢٠٠٥/١/٣١م.
٥. جولد شتاين. النموذج الأصولي للكيان الصهيوني، أميمة أحمد الجلاهمة، نشرت على هذا الرابط: http://www. isIamseiect.com/mat/34777 بتصرف.
٦. حبيب، صموئيل، وآخرون. دائرة المعارف الكتابية. الطبعة الأولى، مصر: دار الثقافة، ١٩٩١م.
٧. حسن، محمد خليفة. البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي. الطبعة الأولى، مصر: مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، ١٩٩٩.
٨. حسين، نور ناجح. المنقذ في الأديان: دراسة تاريخية مقارنة، العراق: مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي، ٢٠١٩.
٩. خوشابا، شليمون إيشو، وزهريرا عمانوئيل بيتو يوخنا. قاموس عربي - سرياني. الطبعة الأولى، العراق: مطبعة هاوار، ٢٠٠٠م.
١٠. الدبوسي، منى ناظم. المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية. الطبعة الأولى، الإمارات: مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر، ١٩٨٩.
١١. رزوق، أسعد. التلمود والصهيونية، منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ١٩٧٠م.
١٢. سعفان، كامل. اليهود تاريخًا وعقيدة. الطبعة الثانية، مصر: دار الاعتصام، ١٩٨٨م.
١٣. سميث، هوستن. أديان العالم: دراسة دينية ممتعة لأديان العالم. ترجمة: سعد رستم. الطبعة الثالثة، سوريا: دار الجسور الثقافية، ٢٠٠٨.
١٤. السيد، هاني عبد العزيز. الحركات اليهودية المسيحانية في ظل الإسلام: حركة شبتاي تسيفي نموذجًا. الطبعة الأولى، العراق: جامعة الأنبار، ٢٠١٢م.
١٥. الشرقاوي، جمال الدين. المسيح والمسيا. الطبعة الأولى، مصر: مكتبة النافذة، ٢٠٠٦م.

١٦. ظاظا، حسن. الفكر الديني الإسرائيلي: أطواره ومذاهبه. الطبعة الرابعة، سوريا: دار القلم، ١٩٩٩م.

١٧. عبد الباري، فرج الله. اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري. الطبعة الأولى، مصر: دار الآفاق العربية، ٢٠٠٤م.

١٨. عبد المالك، بطرس، وألكساندر طمسن. قاموس الكتاب المقدس. الطبعة الثانية عشرة، مصر: دار الثقافة، ١٩٩٩م.

١٩. عبد المجيد، محمد بحر. اليهودية. الطبعة الأولى، مصر: مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، ٢٠٠١م.

٢٠. عرابي، رجا عبد الحميد. سفر التاريخ اليهودي. الطبعة الثالثة، سوريا: دار الأوائل، ٢٠٠٩م.

٢١. علّوش، ناجي الماركسية والمسألة اليهودية - بيروت: دار الطليعة. ١٩٦٩م.

٢٢. عيد، يوسف. موسوعة الأديان السماوية والوضعية: اليهودية. الطبعة الأولى، لبنان: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٥م.

٢٣. فتاح، عرفان عبد الحميد. اليهودية: عرض تاريخي والحركات الحديثة في اليهودية.

٢٤. ماضي، عبد الفتاح محمد. الدين والسياسة في إسرائيل. الطبعة الأولى، مصر: مكتبة مدبولي، ١٩٩٩م.

٢٥. المسيري، عبد الوهاب محمد: الآيديولوجيا الصهيونية، الكويت: عالم المعرفة، يناير ١٩٧٨م.

٢٦. المسيري، عبد الوهاب. موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية. الطبعة الأولى، مصر: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ١٩٧٥م.

٢٧. المسيري، عبد الوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. الطبعة الأولى، مصر: دار الشروق، ١٩٩٩م.

٢٨. معوض، عبدالعزيز محمد. الموسوعة الفلسطينية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

٢٩. ناظم، منى: المسيح اليهودي ومفهوم السيادة الإسرائيلية، الاتحاد للصحافة والنشر: سلسلة «نحن وهم « القاهرة: دار الهلال، ٢٠٠٧م.

المراجع والمصادر الأجنبية

1. Gérard - Henry Baudry: Baptism and its symbols at the sources of salvation, Paris: Editions Beauchesne, 2001, p 34 - 35

2. Israel. European Jewry in the Age of Mercantilism, 1550–1750. Oxford, 1985 P69.

3. Scholem, Gershom. Sabbatai Sevi: The Mystical Messiah, 1626–1676. Princeton University Press, 1973. P67.